العسكرية وإبادتها عام ١٩٥٤، وعلى اثر ذلك حزم الاستعمار الفرنسي حقائبه ورحل... وكيف نفسر تفوق جهاز امن حزب الله على جهاز امن إسرائيل في حرب ٢٠٠٦ باعتراف لجنة تحقيق إسرائيلية؟ وكيف نفسر تخفي بعض قادة الجبهة سنوات وسنوات؟

(فالسرية هي السلاح الأمضى لمواجهة عدو متفوق، وتبدأ السرية أول ما تبدأ بسرية القيادة وسرية أماكن التجمع والاجتماع، أما في حالة نجاح الوسائل الاستخبارية في اختراق هذا الجدار وتسجيل أهداف كاعتقال متخفين أو ضبط ممتلكات... فلا خيار سوى خيار الصمود. وكل سياق العمل وكل البيئة التربوية إنما تدفع بهذا الاتجاه. ولدينا نماذج صمود ساطعة على هذا الصعيد وتجاربها أضافت إلى الإرث الثوري العالمي.

وهناك مجموعات للنسر الأحمر والفهد الأسود التي برعت في بناء أوكار معقدة بما يشبه سراديب وأنفاقاً وحجرات مسحورة، كما هناك فدائيون حكموا سنوات طويلة دون أن ينجح العدو في الوصول لسلاحهم، كما أن البعض قادوا قوات الاحتلال لمغائر مغلقة ومخابئ صخرية معبأة بالسلاح، بل إن جهاز الكشف عن المعادن عثر على أسلحة في البيوت أيضا... وفي مرات عديدة قام العدو بنسف بيت العائلة قبل أن يستكمل التحقيق انتقاما وترويعا... وهذه وسائل «معتدلة» قياسا بسياسة الاغتيال المأسس وقصف المكاتب والمنازل المدنية بالصواريخ لمواجهة انتفاضة الأقصى)[٥٧٣].

٩- سرية المطابع والجهاز الفني وحلقات الاتصال

تكاد وسائل الإعلام، شأن النظرة الأكاديمية، أن تنطلقا في تقييم الحركة السياسية السرية من خلال ما يصدر عنها من بيانات وتصريحات أولا... وهذه زاوية ليست صحيحة بداهة، فالحركات السياسية هي بنى تنظيمية ووزن جماهيري ونشريات داخلية وفاعلية عملية أولاً.

ومهما عظم شأن الحركة السياسية وتعالى صرحها، فهي يمكن أن ترتبك وتعصف فيبها مشكلات شتى إذ ارتبك جهازها الفني المسؤول عن الطباعة والتوزيع والتسلح والمخابئ...

ففي ظل فقر المجتمع المدني الفلسطيني، يتعاظم دور القيادة السياسية، سواء دورها التنظيمي المباشر بتحريك وتوظيف ومتابعة الحركة السياسية أو في تعبئتها وتوجيهها من خلال النشريات. بل إن النشريات تحظى بأهمية مضاعفة في الحركة السرية، ذلك أن صلات القيادة محدودة

---

٥٧٣) مخضرم